فصل

في منشإ الموارنة

اختلف الناس اختلافاً كبيراً في اصل الطائفة الموارنة فبعضهم يقول انهم بعد قبول النصرانيَّة تبعوا راهباً اسمهُ مارون كان يسكن في دير عَلَى مقربةٍ من حماه في القرن السابع وعلمَّ بان للمسيح مشيئة واحدة بدليل ما قالهُ جاك ده ڤتري اسقف صور الذي كلفهُ البابا اونوديوس الثالث في القرن الثاني عشر بكتابة ما يعلم عن المسيحيين في الشرق اذ قال « ويقطن في الجبال الكائنة في بلاد فينيقية عَلَى مقربة من مدينة بيبلوس (جبيل) قوم يحسنون صناعة الحرب ولهم شهرة في الرمي بالسهام وعددهم ليس بقليل واسمهم الموارنة على اسم زعيمهم مارون الهرطوقي الذي علم بمشيئة واحدة وظل نصارى لبنان يصدقون هٰذَا الخطأ الشيطاني الذي ابتدعهُ مارون مدة خمسماية سنة ثم تغيرت قلوبهم وانضموا إِلَى الكنيسة الكاثوليكية واقروا بصحة تعاليمها في حضرة الاب اموري بطريرك انطاكية » ولكن زعماء هذه الطائفة يقولون ان مار مارون هو غير هٰذَا الراهب الهرطوقي وظلَّ اهل هذه الطائفة لا يقرون بسيادة البابا في الامور الدينيَّة إِلَى سنة ١٤٣٨ للميلاد وكان معتمدهم من اشهر المقاومين للقول بعصمة البابا في اواسط هٰذَا القرن

واشتهر الموارنة في كل الحروب ٱلَّتِي حصلت بين الافرنج وسلاطين المسلمين فساعدوا الافرنج مساعدة تذكر ولما انتهت تلك الحروب الهائلة بعود الافرنج إِلَى بلادهم شدد الخلفاء الوطأَة عليهم فرحل قوم منهم إِلَى قبرص وآخرون إِلَى مالطة وكريت ولجأَ بعضهم إِلَى حوران وظلوا عَلَى هذه الحال حتى امتنع الحكام عن تعقبهم ومضايقتهم وبدأَ البابا بالالتفات اليهم . ثم ان ملوك فرانسا نظروا إِلَى خدماتهم في القرن السابع عشر وارسل لويس الرابع عشر اليهم منشوراً يبسط فيهِ حمايتهُ عليهم وفعل لويس الخامس عشر فعلهُ ايضاً فعد الموارنة انفسهم من جملة الفرنسيس وهم إِلَى هٰذَا اليوم يكرمون هذه الدولة ويحبونها حبًّا كبيراً ويتظاهرون بالانتماء اليها ولقنصل فرانسا نفوذ وكلمة في بلادهم

﴿ حكام لبنان ﴾

ولما انقرض آل معن طلب الدروز ان يحكم بلادهم الامراء الشهابيون وكان آل شهاب من اشهر امراء العرب يتصل نسبهم بقريش والنبي محمد ولهم في حوران سطوة وسيادة من ايام فتح دمشق عَلَى يد جدهم خالد المعروف باسم « سيف الله » . واعطاهم السلطان نور الدين الولاية عَلَى حاصبيا وراشيا ومعظم اهلهم من الدروز فحكموا بالعدل والانصاف وجمعوا قلوب الناس عَلَى ولائهم وهم الذين حاربوا الافرنج واخرجوهم من وادي التيم . وكان الدروز من اول الامر يحكمون انفسهم او يولون عليهم امراء من المسلمين لهم التصرف المطلق في بلادهم ولكنهم يؤدون الجزية للسلطان وحاول الاتراك ان يحكموهم راساً فلم يفلحوا ولما رأَى الدين في الاستانة ان الدروز

والنصارى في لبنان يتحدون عليهم كلما ارادوا قضاء امر وعلموا ان طائفة الموارنة تزداد تقدماً ونموًّا عاماً بعد عام جعلوا همهم امتلاك الطائفتين بزرع بزور التضاغن والعداء بينهما وظلوا عَلَى هذه السياسة إِلَى اليوم فنجحوا فيها وظهر من نتائجها الحروب الهائلة الَّتِي سنأْتي عَلَى ذكرها في الفصول القادمة والمذابح الفظيعة وساعد الاتراك عَلَى هذه السياسة اعتناق بعض الامراء الشهابيين دين النصرانيَّة في سنة ١٧٥٦ وتسلط كهنة الموارنة عَلَى عقول هؤُلاء الامراء حتى صاروا يحكمون البلاد عَلَى ما يريدهُ الاكليروس فاشتدَّ غيظ الدروز وكانت دسائس الاتراك وتدابيرهم تزيد في الطين بلةً حتى ظهر العداء بين الطائفتين وكثر التعدي وصارت الحرب من الامور المحتمة

وكان لبنان تابعاً في حكومتهِ لوالي عكا التركي فجعل الولاة همهم قسمة هٰذَا الجبل بعضهُ عَلَى بعض وصاروا يولون هٰذَا الامير اليوم ويعزلونهُ في الغد حتى كثرت المنافسة بين امرائهِ وتعددت احزابهُ وهٰذَا هو الذي ارادهُ الاتراك من سياستهم بعينهِ فانهم كانوا يؤَملون ان يقول الاهالي بعجزهم عن حكم الجبل بانفسهم وعدم قبولهم بامراء بلادهم ويطلبوا من السلطان ارسال والٍ تركي عليهم . واشتهر من بين هولاء الولاة بهذه السياسة احمد باشا الجزار والي عكا الذي مات في اوائل هٰذَا القرن وعرف بظلم يزيد عن ظلم الحاكم بامرهِ وقسوتهِ . كان هٰذَا الظالم العاتي ياتي كل حيلة لاثارة الاهالي بعضهم عَلَى بعض ولتحقير امرائهم في اعينهم ولهُ ذكر اسود يذكرهُ كل سوري بالظلم والقسوة الوحشية اينما سار وكيفما دار